

داسات عريية

obeikandi.com

الرواية الأكتوبرية . . وأدب ما بعد النصر

أدب النصر يختلف عن أدب الهزيمة على الرغم من أن كليهما يصدر عن انفعالة مفاجئة ويعبر عن حالة راهنة سواء كانت تؤدي هذه الحالة الى تغيير أو هي غيرت بالفعل وسواء قضت على وضع قديم أو أدت الى وضع جديد ، قصير أو طويل الأجل أو ربما أبدى الأجل أيضا . . .

وأدب الحروب الذى يكتب اثناء أو بعد المعارك بغض النظر عن نتائج هذه المعارك سلبيًا أو ايجابيًا هو فى واقع الأمر أدب مناسبات مهما حقق من خلود أو عبر عن مشاعر انسانية وقيم روحية وآراء بناءة وأفكار مستقبلية .

والأدب المرحلى هذا اما أن يكتبه أدباء محترفون أو يقتحمه هواة منفعلون ومتأثرون بالأحداث نتيجة لمشاركتهم الفعالة أو مشاعرهم الفياضة . . .

والرواية كفرع من فروع الأدب ، ربما كانت من أقدر الفنون التعبيرية استجابة لأحداث الحروب وهى بالتأكيد المهياة لسرد تلك

الأحداث بالتفصيل فى مواجهة القصة القصيرة التى تلتقط لحظات ومشاهد وتكتفى بالتكثيف ، والشعر أيضا الذى يحول الخيال الى حقيقة ويحول الواقع الى أحلام ..

والرواية فى تلك الظروف قد تحتفظ بعناصرها وأساليبها وأشكالها ولغتها أو بعضها وقد تأتى بالجديد الذى ينبثق من الأحداث وقد تبعد تماما عن قوالب الرواية والبديلة لمرتدى ثيابا أدبية متنوعة أخرى مثل اليوميات والمذكرات والكلمات والمقالات أيضا .. ولا نستطيع ونحن نمهد للحديث عن أدب النصر أو بالتحديد الرواية الاكثوبرية أن نغفل ولو ذكر أدب الهزيمة أو بتحديد أدق رواية يونيو المعبرة عن الغضب المناهية بالثأر والثورة ..

وهذا طبيعى فالمرارة والحسرة والأسى والصدمة وربما اليأس أيضا كلها مشاعر تعترى المواطن حيا أو قارئاً أو كاتباً عقب النكسة والهزيمة ..

أصدر « مصطفى بهجت بدوى » كتابا بعنوان « كلام عنا وعن إسرائيل .. من ٥ يونيو الى ٦ أكتوبر » يتناول فيه بطريقة المقالات اليومية والاسبوعية والافتتاحيات ما حدث فى يونيو وما جاء به أكتوبر ، ورغم أن الكاتب شخص واحد الا أن اللهجة والاحساس والمنطق والرؤى قد اختلفت ..

وأصدر « جمال الغيطانى » وهو روائى معروف كتابا بعنوان « المصريون والحرب .. من صدمة يونيو الى يقظة أكتوبر » يصف فيه بأسلوب المذكرات والذكريات ما شاهده بين الحريين ، ولكن برؤيتين مختلفتين ..

وأصدر « حمدى الكنىسى » وهو مذيع ومقدم برامج أدبية معروف ، كتابا بعنوان « اليوم السابع » مستخدما شكل اليوميات

داخل جبهة القتال مستثمراً وجوده كمراسل حربى ، عايش المعارك
وان لم يشترك فيها .

وكمراسل حربى أيضا ، استغل « مرسى عطا الله » وهو صحفى
معروف متابعته للمعارك وأصدر كتابا بعنوان « حقيقة الثغرة فى
الدفرسوار » مؤكدا على الغلاف انها « رواية الحرب من غرفة
العمليات » وبذلك نقل الأحداث وعالج المواقف بأسلوب روائى دون
أن يتقيد بالشكل الروائى . . .

وبطريقة المذكرات المباشرة أصدر « ابراهيم عزت » كتابا
بعنوان « لا يمكننا دفع المصريين الى الخلف » مستندا الى أقوال
المعدو نفسه ورواياته وكذلك أقوال الكتاب الذين شاهدوا وسجلوا
دون أن يقيموا أنفسهم كطرف فى الصراع ، مثل كتاب « يوم
الغفران » للصحفيين الاسرائيليين السبعة . . .

ومن هذه الكتب صدرت نوعيات كثيرة مختلفة بأقلام متخصصة
ولكنها ليست روائية ، فيما عدا « عصام دراز » الذى كتب « قصة
حب من يونيو ١٩٦٧ » و « يوسف القعيد » الذى كتب رباعية
« الحداد » على طريقة رباعية داريل « الاسكندرية » ورباعية فتحى
غانم « الرجل الذى فقد ظله » ورباعية نجيب محفوظ « ميرامار » . . .
كما كتب « أخبار عزبة المنيسى » وهى مكونة من أربعة فصول زمنية
دون أن تكون رباعية بالضرورة .

و « بهاء السيد » الأديب المقاتل معا ، الذى كتب مجموعة
قصصية تقترب من الرواية بعنوان روائى أيضا هو « السفر
فى الليل » وتضم « رتوش فى حديقة الصمت » و « لصوص من نوع
آخر » و « عندما يختنق القمر » و « المسافة الضيقة » و « رحلة
الجانب الآخر » و « أحسن وحركة الأصبع الأخيرة » وقصصا

أخرى تقترب من المعركة دون أن تلمسها لمسا مباشرا أو تكتوى
بنارها تماما ..

و « مجيد طوبيا » الذى كتب « أبناء الصمت » ليصور أثر
صدمة يونيو فى الاستعداد لأكتوبر مروراً بالحرب واللاحرب ومعايشة
لحرب الاستنزاف ، كل هذا بهدوء أعصاب من ناحية ونفوس تغلى
من ناحية أخرى ، ببرود عقلى فى اتجاه الاعداد والتخطيط وقلوب
ملتهبة بالحماس والأقدام ..

أما كبار الكتاب فقد شاركوا بالكتابة التى تستمد بريقها من
تخصصاتهم دون أن تنطلق الى تلك التخصصات الأدبية والفنية ،
مكتفية بالوصف والتصور والتعليق ، من هؤلاء شيخ الكتاب
« توفيق الحكيم » الذى أطلق تعبير « عبرنا الهزيمة » فى مقالاته
القصيرة جدا ، حتى صار التعبير رمزا للنصر وعلامة على المرحلة
ودلالة على الاصاله . وكتب شيخ الروائيين نجيب محفوظ « دروس
أكتوبر » وفيها أطلق عبارة « ردت الروح » ليرد على الحكيم ويدلل
على حضارتنا الانسانية الخالدة برؤى ثاقبة ولغة روائية متطورة .
وبطريقة النقد والتحليل والتفسير تناول « الدكتور لويس عوض »
حدث العبور فى سلسلة مقالات مطولة تحت عنوان « الأدب والمعركة »
بلغ فيها قمة التصور ودقة التصوير ..

ولأنه ضابط سابق كتب « يوسف السباعى » بلغة عسكرية
وأسلوب حربى عن « الفكر والفن » مؤكدا انهما من أخطر الأسلحة
وجاءت كتاباته عبارة عن صور لبطولات وطنية من واقع أكتوبر
العظيم ، سجلت فى معركة التحرير والمصير .. ويكتب « ثروت
أباطة » فى سياسة الحرب وحرب السياسة عاقدا الصلة الوثيقة
بينهما رافعا شعار الحرية كخطوة أولى فى طريق التحزير
والنصر .. أما « أنيس منصور » فيكتب بطريقته السلسلة الطريفة

عن « رقم ٦ » فى حياتنا ودلالاته وعلاماته ومؤشراته ونتائج ٠٠

ودون أن يتخلى الشعراء عن قلوبهم الشعرى أخذوا يروون الأحداث فى قصائدهم بعد امعان النظر واعمال الفكر وارمصاص الحس ٠٠ كتب « أحمد عبد المعطى حجازى » اغنيات للوطن ، وكتب « فاروق شوشة » اغنيتان لمصر ، ، وأصدر « فتحى سعيد » أول ديوان عن حرب أكتوبر بعنوان « مصر لم تنم » تلك العبارة التى تحولت الى أنشودة يرددوها الشعب ويحفرها التاريخ فى كتبه وذاكرته ٠٠

وقبل أن نتفرغ للحديث عن الرواية الاكثورية بحق ، نسجل هنا ما وقعنا عليه من الانتاج القصصى أو الصورة المصغرة من الرواية ، نجد أن الادبية « لوسى يعقوب » قد أصدرت مجموعة بعنوان « عذراء سيناء » عبارة عن صور لبطولات وطنية من واقع أكتوبر العظيم ، سجلت فى انفعالات المعركة ، ويكفى ان نقرأ أسماء قصصها القصيرة لذرك المعانى التى تسعى الى تأكيدها والمشاعر التى تتمسك بتسجيلها ، مثل « حفنة من رمال سيناء » و « عبير النصر » و « ملحمة البطولة » و « تحقق الأمل » و « أنشودة السلام » ٠٠ ومثل « أكثر من الحب » و « وما أحلاه من عيد » و « الخطوة الواثقة » و « دمة باسمه » تصويراً للبطولات الانسانية المصاحبة للبطولات العسكرية والناجئة عنها ٠٠

وفى مجال القصة القصيرة أيضاً أصدر أديب السويس « محمد الراوى » مجموعة « الركن تحت الشمس » من واقع المعارك ومن داخل الخنادق مركزاً على مدينته المضيوية والمحاصرة طارقاً بذلك جانباً آخر من جوانب المعارك وهو الاثار المترتبة على تلك المعارك ، وهى هنا الهجرة والمهجور ، والجثث والضحايا والأمل الضائع والحلم المفقود ٠٠ ولنقرأ بعض أسماء هذه المجموعة مثل

« هجرة الى الداخل » و « مرثية حب » لنقف على المعنى الذى يريد أن يعبر عنه الكاتب ٠٠

والى جانب الأدباء الشبان المحترفين تظهر كوكبة من الشباب المقاتل الذى يكتب لأول مرة بدافع التعبير عن المعاناة سواء تلك التى انتهت بالنصر أو احيطت بالهزيمة ، من هؤلاء « ابراهيم عبد المجيد » الذى احترف الكتابة بعد ذلك وخاصة بعد أن أصدرت عقيبا على حرب يونيو رواية جيدة وشيقة بعنوان « فى الصيف السابع والستين » ٠٠ أما « تعليقات من الحرب » فهى قصة روائية أو رواية فى قصة تربط بين النكسة والنصر من خلال شباب المرحلتين أو الحقيبتين أو الحدثين ٠٠ ومن هؤلاء أيضا المقاتل « حسن عطية » الذى كتب « الخروج من حفر الدفاع السلبي » ليعين أثر وتأثير « سام ٧ » فى المعارك الحربية مستخدما بضمير المتكلم الذى ينقل تجربته الحية مباشرة دون وسيط ، مما جعل السرد يتسم بالصدق وان لم يتميز بالفن القصصى المتمكن لغة وبلاغة ٠٠ ويגיע مقاتل آخر هو « محمود عبد الوهاب » الذى يركز أحداث قصته حول « عملية العبور » بالتحديد فيصفها ويوصفها بعد تركيز وتكثيف يتعثل فى العناوين الفرعية التى جاءت على شكل بلاغات عسكرية ووقائع حقيقية ٠

وضمن مجموعة قصصية ومسرحية بعنوان « من وحى أكتوبر » كتبت « عزيزة صادق » كما كتب « صلاح عبد السيد » عن الجانب الانسانى فى المعركة بعيدا عن المعركة ٠٠

وننتقل الى الرواية الطويلة لننقل امثلة وليس حصرا لها ، ان نذكر مجرد ذكر أو ببعض التلخيص والتحليل ٠٠

تستمد رواية الاديب « نجيب الكيلانى » عنوانها « رمضان حبيبي » من زمن المعركة لأول مرة كما تستمد أحداثها من وقائع

مثيرة ثابتة تاريخيا ، صيغت فى أسلوب قصصى شيق يتميز بدقة التصوير وسلاسة الحوار وتماسك الحدث ٠٠ وفى هذه الرواية يصور الكاتب كفاح الشعب المناضل اثناء معركة الكبرى بذلا وعطاء وتضحيات متصلة على مدى السنين دون أن يصيبه اليأس أو يعتريه الوهن ٠٠ ويبرز الكاتب أثر العامل الدينى فى تكوين الرجال وصنع الابطال والبطولات وتحقيق النصر بارادة وعزة وكرامة بلا حدود ٠٠

أما رواية الاديب الكبير « يوسف السباعى » التى تحولت الى مسرحية والى مسلسل اذاعى والى فيلم سينمائى ، وتعنى « العمر لحظة » فهى تعبير فورى عن احداث المعركة المصيرية والفاصلة بين مصر واسرائيل : فهى الحرب الرابعة أو هى الجولة الأخيرة بعد ان فازت اسرائيل بالجولات الثلاث الأولى ٠٠ ولذلك يعبر الأديب المتمكن بحسه المدرب ووعيه السياسى عن « العمر » و « اللحظة » فيكشف العمر كله بماضيه وحاضره ومستقبله فى لحظة واحدة ، ليقول الانسان المصرى على طريقة هاملت الشكسبيرى « أكون أو لا أكون » ٠٠ وعندما يقامر الانسان بمصيره كله فى عبارة موجزة مثل هذه لابد أن تكون لديه الارادة والمقدرة والعزم والتصميم والرغبة فى الحياة الكريمة ، ومؤدى كل ذلك النصر ، وهو ما تحقق له بالفعل ٠٠ والرواية بعد هذا ومع هذا لا تغفل المشاعر الانسانية حتى وسط المعارك وبعد المعارك ، لأن الانسان مجموعة من المشاعر والعواطف والاحاسيس والافكار والاحتياجات ، فهو ليس فكرا جامدا ولا هو شاعر خالصة ، ولكنه تركيبة معقدة غاية فى التعقيد وتراث متداخل غاية فى التداخل وقوانين متشابكة غاية فى التشابك .

ويوسف السباعى المتابع دائما للاحداث القومية والوطنية الذى يكتب « العمر لحظة » هو نفسه الذى كتب من قبل عن « الحرب

والسلام « وهو الذى كتب « رد قلبى » من المنطلق ذاته ونحو ذات الهدف ٠٠

أما « محمد جلال » كبير كتاب جيل الوسط فيكتب « ثمهورة المواردى » ليصور الجانب الآخر من المعركة الدائرة ، جانب الشعب فى الأزقة والحوارى والمقاهى والبيوت الصغيرة فى المدينة الكبيرة والناس على اختلاف درجاتهم العلمية والتعليمية والثقافية والوظيفية والحياتية والعملية ، رجال ونساء وشباب وفتيات رصغار أيضا ، هؤلاء المهتمون المتابعون وأولئك المشغولون اللاهون ، وأيضا العابثون وغير العابثين ٠٠ وهو لا ينسى - كما لم ينس يوسف السباعى - ان يصور قصة الحب الرئيسية وقصص الحب الجانبية أو الفرعية فى قلب العمل الروائى حتى لا يصاب الفن بالجفاف ، فالدم الذى يجرى على رمال الصحراء والدم الذى يجرى فى العروق انما يتدفق من قلب واحد وشرايين واحدة .

ومحمد جلال « يجس » نبض الشارع المصرى منذ « صدمة النكسة » حتى « فرحة النصر » ٠٠ من خلال شارع واحد فى مصر ، يعكس صورة مصر كلها ٠٠ وهو يصب رؤيته فى قالب روائى يضمه أحيانا وشخصيات .

ونطالع وتطالعنا روايات أخرى لأدباء آخرين ، نكتفى بفكرها ونذكرهم بعد أن تناولها النقاد فى دراسات أخرى ٠٠ « الرفاعى » لجمال الغيطانى ، و « الحرب فى بر مصر » و « الاسبوع سبعة أيام » ليوسف القعيد و « أيام من أكتوبر » لاسماعيل ولى الدين و « دعونى أعيش » لعلاء مصطفى ٠٠ وغيرهم .

ويبقى السؤال الذى يطرح نفسه بعد الانتهاء من قراءة واعية ممتعة لكل تلك الروايات ٠٠ وماذا بعد النصر ؟ وهو سؤال لا بد أن يجيب عليه الروائيون المسجلون الراصدون المحللون لضربات نبض

مصر ، في روايات نابضة آن الأوان لكتابتها بعد أن سمح البعد
الزمنى برؤية الأحداث بعقل هادئ وفكر موضوعى واحساس صادق
وحب خالص . . لمر . .

وبعد رواية النكبة فى عام ٤٨ ورواية الثورة فى ٥٢ ورواية
العدوان فى ٥٦ ورواية النكسة فى ٦٧ ورواية التصحيح فى ٧٠
ورواية النصر فى ٧٣ ورواية السلام فى ٨٢ ستظهر حتما وقريبا
رواية المرخاء ، عوضا وعدلا من عند الله سبحانه .

نماذج مقارنة ٠٠ من أجيال القصة

إذا جاز لنا أن نقسم الكتاب الى أجيال ، وإذا حق لنا أن نحدد هذا التقسيم بثلاثة أجيال حتى الآن ، جيل الريادة وجيل الوسط والجيل الجديد ، أمكننا أن نختار نماذج تمثل هذا التقسيم وقصصا قصيرة تعبر عن أوجه الشبه وأوجه الخلاف .

وليكن المثل لجيل الريادة - فى هذه الدراسة - الأديب « محمود تيمور » وليمثل جيل الوسط الكاتب « يوسف السباعى » ويمثل الجيل الجديد الصحفى « فتحى سلامة » .

واستمرارا فى عملية الاختيار ، اخترنا قصة لكل منهم من بين مجموعات قصصية ثلاث ٠٠ الأولى بعنوان « عبيط عبيط » احدى قصص « البارونة أم أحمد » والثانية بعنوان « الشيخ زعرب » وهى القصة التى تحمل عنوان المجموعة نفسها ، والأخيرة بعنوان « على السعداوى » ابرز قصص مجموعة « يسألونك عن الخوف » ٠٠

وكان من الممكن اختيار القصص الثلاث اللاتى تسمى باسمائها المجموعات الثلاث ٠٠ ولكن الصفات والمواصفات المميزة والتميزة قد جمعت بين الابطال الثلاثة بحيث يسهل عقد مقارنة كاملة بين أسلوب وطريقة كل كاتب أو كل جيل .

فعبيط تيمور وشيخ السباعى وسعداوى سلامة يدورون فى الغلك نفسه ويعانون الظروف ذاتها ، يعيشون مشاكل متشابهة ويطمعون فى حياة أفضل ويطمحون الى المستقبل ، دون جدوى ٠٠ ولذلك تصادفهم منغصات ومعوقات متقاربة ، أما النهاية فواحدة .

ومع هذا فلا يمكننا ان نلاحظ أو ندعى ان « السباعى » قد تأثر بتيمور ، أو ان « سلامة » قد تأثر بالاثنيين أو بأحدهما ٠٠ بل يمكن التأكيد على ان أحدا منهم لم يقرأ قصتى الكاتبين الآخرين، رغم ما فى القصص الثلاث من تكرار ، لا ينتمى الى « توارد الخواطر » بقدر ما يشير الى استمرارية الحياة بما فيها من متناقضات واشباه .

أما قصة « تيمور » القصيرة « عبيط » فتدور حول رجل لا عمل له ، ضائع تائه ، يطلقون عليه صفة « العبيط » وهو يدرك معنى هذه الصفة ، ولكنه يستنكره فى الوقت نفسه ويهزأ به دون أن يعلن عليهم رد فعله هذا ٠٠ وتسير حياته ويسير بها محاولا شغل وقته وكسب قوته بخدمة المحيطين به أو الذين يحيط بهم ، فيتبرع بخدمة سيدة ميسرة تعطف عليه رغما عن زوجها الذى لا يكن له أى ود ، لأنه كان يغير منه فى واقع الأمر ، الى أن توفى الزوج ، فلم يذرف عليه دمعة واحدة ، كان فرحه لا يوصف بعد ان سمحت له السيدة الارملة بالاقتراب منها أكثر ، لدرجة أنها تركته يغازلها ويطارحها الغرام والعشق بعد انقضاء موعد الحداد ٠٠ فاعتقد أنه أصبح عشيقها ورجلها ، الى أن فوجيء برجل آخر يظهر فى حياة سيدته ويشغل وقتها ويأخذ لبها ويبعدا عنه تماما ، خاصة بعد أن تزوج منها وتم الزفاف ، الحدث الذى لم يستطع « العبيط » ان يتقبله ويقبله ، فقرر أن يتخلص من سيده حتى لاينالها أحد سواه ، وبالفعل طعنها بسكين حادة ، أخذها الى أمه ليقص عليها قصته كاملة ، مع المرأة الخائنة من وجهة نظره ومع الناس الذين ظنوا أنه « عبيط » .

هذه الشخصية غير السويدية تتشابه تماما كنموذج بشرى وشخصية « الشيخ زعرب » غير السويدية هى الأخرى ٠٠ فالسباعى قبل ان يقص علينا قصته ، يصفه لنا من الخارج والداخل ، يصف وجهه وهيئته ثم سلوكه ونفسيته ٠٠ هو « عبيط » آخر ، من نوع آخر

ليس من أولياء الله الصالحين وان تشبه بهم ، وليس من المجانبي وان قلدتهم ولكنه « ابله » يتجه نحو التدين وحلقات الذكر ، وفي هذا فقط يختلف عن « ابله » تيمور الذى اتجه نحو المرأة والجنس .. والشيخ زعرب يحتفل بشكل خاص بتوديع « الحمل » فى منطقة الغفير ، على اعتبار أن « الكسوة الشريفة » متجهة الى أرض الحجاز المقدسة لتكسو الكعبة الشريفة ، ويتذكر سلفه « الشيخ كتكوت » المجذوب الاكبر الذى اضطر الى سرقة رغيف عيش من مخبز والد زعرب وكاد المارة أن يقتلوه لولا تدخله والافراج عنه ، واليوم ينقلب الحال ويصبح الشيخ زعرب مجذوبا مثل المرحوم كتكوت وفى حاجة الى رغيف عيش بعد أن آتت النيران على مخبزه وتشاء الاقدار ان يتلقفه ابن الشيخ كتكوت صاحب محل البقالة ليعطيه رغيفا قبل أن تمتد اليه يده ، وفاء لما صنعه مع والده بل ويعده برغيف كل يوم مدى الحياة .. فلا يملك الشيخ زعرب الا أن يترحم على الشيخ كتكوت ويمضى .

ويقدم لنا « سلامة » شخصية ثالثة غير سوية كذلك .. شخصية « على السعداوى » المدعى « الفشار » الذى « يسوق المهبل على الشيطنة » فهو رجل بلا عمل ومع هذا يدعى أنه سيعمل مستشارا لرئيس مجلس ادارة الشركة العامة للأسمدة بدلا من أن يعترف بالحقيقة ، حقيقة أنه سيعين ساعيا على بابهِ ، وكذلك كان يدعى أن الطبيب الذى كان يعمل ممرضاً عنده ، لا يفهم فى الطب ، وكان الأمر يصل الى اجراء الكشف الطبى على المرضى وكتابة روثات العلاج للمرضى بدلا منه ، ولهذا ترك العمل وفضل ان يقدم الخدمات العامة للناس ، فهو يفهم كل شىء ويعرف خبايا كل شىء ، وهو بمعنى آخر « شيخ حارة » تماما مثل « عبيط تيمور » ومثل « زعرب السباعى » .. ومع هذا فالجميع يعلمون حقيقته ويعاملونه على هذا الأساس .. حتى ذهب مرة للعلاج بالمستشفى والكشف الطبى

توطئة للتعين في وظيفة « الساعي » أو « المستشار » ، فتدخل وتداخل وصار عنصرا يعتمد عليه الصيدلى والطبيب وعبادة التحليل ، بل ومدير المستشفى ، ونسى وظيفته الجديدة وأقام فى المستشفى وطلب يد ابنة « الحارة » التى كان يحبها ولا يجد مالا ليخطبها ، فقد انهال عليه « البقشيش » من كل صوب ، ولم ينس ابناء حارته فهو يجلب لهم الدواء ويساعدهم على اجراء الكشف عليهم بالمستشفى وهكذا ٠٠ الى أن مات « على السعداوى » الشبيه كثيرا بشخصية على بك مظهر المسرحية ، وان كانت قد كتبت القصة قبل المسرحية ٠٠ ويكشف موته عن العجب ، كل العجب ، فقد أخذ الناس المحترمون يتوافدون بلا انقطاع على الحارة لتقديم واجب العزاء ، مما جعل صاحب المقهى يستأجر مزيدا من الكراسى ويقدم مزيدا من القهوة السادة على حسابه وحساب رواد المقهى ترحما على فقيدهم العزيز ، فلما ظهرت الجريدة فى اليوم التالى فوجيء أهل الحارة باسم على السعداوى مسبقا بلقب دكتور فى نعى وزارة الصحة ونقابة الاطباء والمستشفى ونقابة الصيادلة وهيئات كثيرة كما فوجئوا بمندوب الرئاسة والداخلية والمحافظه يتقدمون «الجنازة» فاضطروا لجمع التبرعات لاقامة سرائق يليق بمقام الفقيد عميد حارتهم وكبيرها دون أن يفارقهم العجب بازاء هذه الشخصية الفذة التى استطاعت أن « تضحك » على المسؤولين وتقنعهم بغير حقيقته المتواضعة للغاية .

هذه الشخصيات الثلاث لا تختلف الا فى تناول والمعالجة والاسلوب ليس فقط لأن ثلاثة من خيرة كتابنا هم الذين قدموها ، ولكن لانهم يمثلون فى الوقت نفسه ثلاثة أجيال متعاقبة الى حد الالتصاق وممتدة بخيط دقيق هو خيط الصلة والتواصل دون انقطاع بين الجذور والفروع أو الاجيال .

أما الاختلاف فى تناول فيتخذ عند « تيمور » شكل الحديث

الداخلي وان كان البطل الشخصية الرئيسية ، هو الذى يخاطب نفسه موجهها حديثه الى شخصية أخرى لا تسمعه وهى هنا أمه ٠٠ ثم يستمر فى سرد الاحداث على طريقة الاسترجاع أو « الفلاش باك » مع مواصلة توجيه حديثه الداخلى الى أمه التى لا تسمعه بين حين وآخر أو فقرة وأخرى .

ويتخذ التناول عند « السباعى » شكل المباشرة بين الكاتب والقارئ ، فالكاتب يخاطب القارئ ويخبره فى البداية أنه سيقص عليه قصة ، ثم يشركه معه فى أحداث هذه القصة ، ويفترض أنه ينصت اليه أحيانا ، ويشرد منه أحيانا أخرى ، يمل القصة حيناً آخر وهكذا طوال القصة التى يعلق الكاتب على أحداثها بشكل عام وعلى الشخصية بشكل خاص خلال السرد ٠٠ ولعل « السباعى » يشترك مع « تيمور » فى جزئية من طريقة التناول هى جزئية الاسترجاع أو « الفلاش باك » .

بينما يتخذ التناول عند « سلامة » الشكل الحديث من ناحية والطبيعى من ناحية أخرى ، وهو وصف الشخصية الرئيسية والأحداث المحيطة بها بطريقة موضوعية لا دخل للكاتب فيها ولا تدخل من جانبه ، فلا هو يخاطب القارئ ولا هو يترك بطله يخاطب نفسه أو غيره ولا هو يلجأ الى طريقة الاسترجاع أو « الفلاش باك » ليعمق الأحداث أو يلقى ضوءاً على الشخصية أو يمسك بما قد أفلت منه من وصف أو توصيف أو صفات . وذلك هو التناول السوى للقصة القصيرة ، دون أن يتعارض هذا التناول السوى مع الشخصية غير السوية التى يتناولها .

وأما الاختلاف فى المعالجة فيتخذ عند « تيمور » شكل « الرفض » فبطله يرفض فكرة الناس عنه ، فكرة أنه « عبيط » ويرفض الخضوع للأمر الواقع ، فهو يحاول تغيير واقعه بأن يرتفع من

مجرد تابع للسيدة الى عشيق لها . ويرفض الاستسلام ، فهو عندما يقاجأ باتخاذ سيدته رجلاً آخر غيره يقتلها ويتخلص منها . أما بطل « السباعى » فيتخذ من « الهروب » وسيلة لاستمرار الحياة ، فهو بعد احتراق مخبزه ، مصدر رزقه وسنده الوحيد فى الحياة ، يلجأ الى أولياء الله ويرتدى ثوب المجانيب يطوف الموالد والمحافل الدينية وخاصة المحمل ثم ينتظر رغيغ عيش هو بائع الخبز كله وصانعه فيما مضى . . بينما يتخذ بطل « سلامة » من « اللامبالاة » وسيلة لاستمراره فى المظاهر التى يقابلها الناس بالسخرية لأن اللامبالاة تمكنه من سلوكه غير السوى سواء اقتنع فى داخله بأنه غير سوى أو ظن فى داخله أن الآخرين هم غير الاسوياء وهو وحده السوى . . ومع هذا فالكتاب الثلاثة يشتركون فى طريقة واحدة هى « المبالغة » المبالغة فى وصف الشخصيات والمبالغة فيما انتهت اليه تلك الشخصيات .

واما الاختلاف فى الأسلوب فيتمثل فى اللغة المتقكرة والكلمات القديمة غير المستخدمة والعبارات المعقدة غير السلسة والتى أخذت حداثتها تخف من جيل الى آخر ، فمن جيل تيمور الى جيل السباعى ومن جيلهما الى جيل سلامة اختلفت اللغة والكلمات والعبارات المتقكرة والقديمة والمعقدة أو خفت . .

فهذا هو تيمور الذى يقول مثلاً : « مافى ذلك ريب » و « كانت حياتنا معا موصلة الحلقات ، بيد أنى أؤكد لك على الرغم من ذلك أنك لم تسبرى غور هذه النفس البشرية » و « مكزون صدرى » و « هائل فاجع » و « صه ياأمى » و « لم يكن أصلب منى عودا ولا أشد بنية » و « تزداد فى لبوسها الأسود حسنا » و « ذلك خفق أقدام أهمهم على الأرض الصلبة ، تتجه نحو الحاصل » . .

وها هو السباعى الذى يقول مثلاً : « حتى لاتضل بين الاخايد

« والتجاعيد والوهاد والنجاد » و « وقد تكأكأ فيها حشد من القوم »
و « رفع عقيرته بالغناء » و « الثلة العجيبة من الاولياء » و « تراهم
بين أكرش منبعج وأعرج وأكتع وأحدب وأعور » و « وكان الناس
قد تكأكأوا فى الشوارع حتى لم يبق هناك موطىء لقدم » و « انهال
عليه باللوم » و « مرت السنون » و « وقع بصره فجأة على حانوت
للعيش » . .

ثم يجيء سلامة فيخفف حدة هذه العبارات وتلك الكلمات
وإن لم يتخلص منها تماما ، فهو يقول مثلا : « كان كل أمله أن
(يحصل) على وظيفة ، وظيفة ثابتة (يحصل) منها على راتب »
و « على سبيل الاقتراض » و « هاتوا البرقيات ، هاتوا جرائد اليوم »
« لم تعد مقهى . . » . وهكذا .

وهكذا تتعاقب الاجيال الأدبية ، تتفق فى صفات وعلى
مواصفات وتختلف فى الوقت نفسه فى الطريق والطريقة ، ليتأكد
شئ واحد أو حقيقة واحدة هى أن كل جيل يفيد من الاجيال السابقة
عليه فى نواح كثيرة ويتلاشى ويتحاشى العيوب والاختفاء والهناك
التي تقع فيها تلك الاجيال السابقة .

هذا ما حاولنا استكشافه وتأكيد فيه هذه الدراسة المقارنة
المحدودة كنموذج لدراسة أكبر أو دراسات أعمق .

الرواية المغربية ٠٠ من أين والى أين

فى مقدمة كتابه « الرواية المغربية » يقول « عبد الكبير خطيبى »
لقد حاولت أن أقدم أهم الروايات المغربية ، تلك التى تعتمد على
الرؤية الاجتماعية ، فان ما يميز رواية عن أخرى هو ذلك الحس
الاجتماعى المرتبط بداهة بالوضع السياسى .

ونستخلص من مقدمة « عبد الكبير الخطيبى » ظاهرتين على
جانب كبير من الأهمية ، الظاهرة الأولى هى أن فئة من المفكرين
فى فرنسا كانوا أكثر تفهما وتعاطفا وتحمسا لكتاب الرواية المغربية
- ومعظمهم يكتبون بالفرنسية - من غيرهم . على الرغم من هجوم
هؤلاء الكتاب الضارى على الحضارة الأوروبية والفرنسية بالذات
خاصة بعد نشوب الحرب الجزائرية وعلى الرغم أيضا من تمسك
هؤلاء الكتاب بقوميتهم العربية وقيمهم الاجتماعية ودينهم الإسلامى
٠٠ والظاهرة الثانية هى ان كتاب الرواية المغربية استطاعوا ان
يثرؤا الحركة الأدبية الفرنسية وان يسجلوا أسماءهم وأعمالهم فى
تاريخ الأدب الفرنسى وأبرز هؤلاء محمد ديب ومولود فرعون ومالك
حداد وأسيا جبار وكاتب ياسين ومولود معمري ومارجريت كاروسا
وطاهر بن جلون ٠٠

ولقد صحب تألق هؤلاء الكتاب ظهور عدد من النقاد والدارسين
لأدبهم مثل البير ميقى ومصطفى الأشرف وعبد الله لاروى ومحمد
رشاد الحمزاوى وعبد الكبير خطيبى نفسه ٠٠ اما فى فرنسا فان
أبرز من تصدى لهذا الأدب الوليد اثنان من الدارسين أولهما مدافعا
وهو المصرى المقيم فى فرنسا الدكتور « أنور عبد الملك » من خلال

كتابه « الشرقية فى خطر » والثانى مهاجما وهو ناقد الفيجارو
الفرنسى « روبير كامب » المصدوم دائما فى جراءة الكتاب المغاربة
وهجومهم المستمر على الفرنسيين وحضارتهم .

ولكن لماذا الرواية دون غيرها من أشكال التعبير الأدبية ؟

يقول « عبد الكبير خطيبى » ان الرواية شكل غربى لم يزدهر
الا فى القرن التاسع عشر ولم يعرفه العرب الا فى القرن العشرين .
ولهذا لا يصبح غربيا أو مستغربا أن يلجأ العرب الذين يكتبون
بالفرنسية الى هذا الشكل الراسخ لكى يضمونه قضاياهم المثارة
حتى يحققوا هدفين غالين أحدهما يرتبط بالشكل حيث تتوفر القيمة
الفنية للعمل الأدبى والآخر يرتبط بالانتشار حيث تسهل مهمة القراءة
دون اللجوء الى الترجمة والتعرض لضيق المعنى اثناء القيام بعملية
النقل من لغة الى أخرى .

ورغم هذه الاستعارة شكلا ولغة فان بعض الكتاب المغاربة
قد حاولوا استحداث أشكال أدبية تساير طموحاتهم الفكرية مثلما
فعل كاتب ياسين فى روايته المتميزة « نجمة » .

فاذا كان كتاب الجزائر قد ظلوا لفترة طويلة يكتبون بالفرنسية
نتيجة تأخرهم فى الحصول على الاستقلال وحاجاتهم الى مخاطبة
المستعمر بلغته بل وبفنه ، فان كتاب المغرب وتونس قد لجأوا
مباشرة الى لغتهم العربية وان استعاروا هم ايضا الشكل الفنى
الغربى مع محاولة تعريب هذا الشكل وصهره فى بوتقة التراث
القومى والفلكلور الشعبى المتأصلين فى الشرق الأوسط الممتدين عبر
الشمال الافريقى .

وإذا كانت الموضوعات الانسانية الخالدة تنحصر فى الحب
والحقد والكرامية فان كتاب شمال افريقيا بصفة عامة قد اضافوا

الى هذه المشاعر الشعور بالثورة وذلك منذ عام ١٩٤٥ على وجه
التحديد .

وإذا كان هؤلاء الكتاب وخاصة الذين كتبوا بالفرنسية قد
استهدفوا المستعمر ، فماذا فعلوا بعد استقلال ١٩٦٨ النهائى وماذا
هم قاعلون الآن ؟

موقف الرواية المغربية

المعروف ان مصطلح « الرواية المغربية » يطلق على الجزائر
وتونس فضلا عن المغرب حتى لا يشاع الاعتقاد بأنه مصطلح خاص
بالمغرب وحده . وفى الجزائر بدأ كل من « لويس برتراند »
و « روبر راندوا » بكتابة الرواية المعبرة عن شمال أفريقيا باللغة
الفرنسية ولكنها كانت محاولات لا تعدو تقليدا لأندريه جيد وهنرى
ديجيمونترلان . حتى كتب « عبد القادر حاج حامو » فى عام ١٩٢٦
رواية بالفرنسية بعنوان « زهرة ، زوجة عامل المنجم » التى اقترب
فيها من مشاكل مجتمعه وبأسلوب واقعى ، ثم جاء « البيركامو »
و « جول روى » وعلى الوجه النقدى « جاك بيرك » ليقلبوا الوضع
حتيجلين اسماءهم فى تاريخ الأدب الفرنسى وليس الجزائرى مما
يدعو الى استثنائهم من بانوراما الرواية المغربية دون استبعادهم
من تاريخ الأدب فى شمال أفريقيا . وبظهور « مولود معمري »
وروايته الأولى « اللوادي المنسى » التى نشرت فى باريس عام
١٩٥٢ يتحدد ميلاد الرواية الجزائرية بصفة خاصة والرواية المغربية
بصفة عامة . ومع هذا لم يقف معمري وحده ، فقد أصدر « كداش
ججفوظ » فى العام التالى أولى رواياته « صوت الشباب » . ولم

يتوقف معمرى بعد ذلك فقد أصدر فى عام ١٩٥٦ روايته الثانية
« نوم العدل » .

وبظهور هاتين الروائيتين ولد أول ناقد ودارس للرواية المغربية
وهو « مصطفى الأشرف » الذى جاء بمثابة المنظر لهذه الطفرة
الأدبية المتألقة ، وكان أهم ما أشاد به فى هذه الروايات الثلاث هو
« الضمير الوطنى » و « الصديق الفنى » نظرا للواقعية وتصدير
الأمر الواقع بعيدا عن الأمانى والأحلام والهروب الى المستقبل
المجهول .

وفى المغرب اشترك كل من «سى قدور بن شابریت» و « عبد الخالق
اتوريس» و « محمد تازى » فى كتابة المقالات والقصص
والانطباعات التى لم تقترب من فن الرواية ولكنها كانت جميعا
باللغة العربية . هذا اذا استبعدنا من المجال الروائى شاعر القومية
العربية الكبير « محمد علال الفاسى » الذى ظهر جليا فى عام ١٩٤٩
٠٠ اما « دريس شرايى » فقد هوجم هجوما عنيفا من مثقفى المغرب
لمجرد أنه اختار الحياة فى باريس مع ان غالبية الكتاب قد عاشوا
هناك زمنا طويلا امتد الى عام التحرير عام ١٩٦٨ ٠٠ الا ان
الهجوم ينطوى فى حقيقته على المضمون الميتافيزيقى لروايات شرايى
نفسها ، فهو يعترف بأنه ليس مع الاستعمار ويعترف صراحة بأنه
ليس ضد الاستعمار . ويعلن عن رغبته فى ان يكون كاتباً انسانياً
عالمياً وليس كاتباً اجتماعياً محلياً ٠٠ وعلى الرغم من عودته الى
ينابيعه الأصلية والأصيلة بعد ذلك الا ان الوقت كان قد فات علي
حد تعبير النقاد المغاربة بصفة عامة .

وفى تونس نص دستور ١٩٣٠ على تدريس اللغة العربية
واعتبارها اللغة القومية للبلاد . ساعد على تطبيق هذا القرار الوطنى
انشاء كليتى الزيتونة وصديقى ٠٠ ولهذا برز الشاعر الكبير

«أبو القاسم الشابي» على المستوى العربي وقدم «على الدواويج»
أول رواية تونسية باللغة العربية عام ١٩٣٥ . وارتبط الأدب
بالسياسة في تونس وساد المصطلح الفني الجديد للرواية النفسية
الاجتماعية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وان تأثر كتاب المنطقه
العربية فضلا عن تونس بكل من بروسست وكافكا وجويس .

وقد مرت الرواية المغربية بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٣ :

وهي المرحلة التي اعتمدت على الوصف التحليلي للحياة
اليومية من ناحية وتمجيد البطولات التاريخية المستمدة من التراث
الشعبي من ناحية أخرى . ففي الوقت الذي تفتت فيه ظاهرة الرواية
البوليسية وخاصة في أوروبا وجنوب امريكا لجأ كتاب شمال افريقيا
الى الف ليلة وليلة . ليؤكدوا على دور المغامرات المعتمدة على
الحيلة والشجاعة والفداء في تراثهم القومي . وابرز اعلام هذه
المرحلة الأولى مولود فرعون ومولود معمرى ومحمد ديب (في
اعماله الأولى) .

والمرحلة الثانية من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٥٨ :

وهي المرحلة التي استهدفت تغريب الثقافة الاوروبية التي
جعلها ثقافة مغربية عربية خالصة ، في الوقت الذي سادت فيه
فكرة الخلاص والبحث عن الذات دون الالتفات الى تجارب الآخرين
عملا بالحكمة القائلة بأن لكل شعب ظروفه وشخصيته وسيرته .
وابرز اعلام هذه المرحلة الثانية البير ميجي (من خلال روايته تمثال
الملح) ودريس شرابي (من خلال روايته الماضي البسيط) وكاتب
ياسين (من خلال روايته نجمة) .

والمرحلة الثالثة من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٢ .

وهي مرحلة الأدب الداعي الى الاستقلال المنصب أساسا على الحرب الجزائرية بمعنى أن الالتزام بالوطن وبقضاياه هو الأساس بغض النظر عن اللغة التي يعبر بها الكاتب عن هذا الالتزام . . . بل أدى هذا الازدواج الى كشف المستعمر لمجرد ضمان وصول هذه الصيحات اليه والى من يقرأون لغته لجهلهم بلغة الوطن المكافح . . . وأبرز اعلام هذه المرحلة الثالثة آسيا جبار ومالك حداد ومحمد ديب (فى اعماله الأخيرة) .

ولعل مرحلة رابعة لاتزال فى دور التكوين لأنها مرحلة الهدوء والتقاط الانفاس تلك التى تلت الاستقلال النهائي وأخذت تصفى الصراعات الداخلية وتعمل على البناء الوطنى وتتطلع الى مستقبل أفضل ، ولهذا تناقص عدد الروايات من ناحية ولم تلمع أسماء جديدة فى سماء الرواية المغربية على الاطلاق .

فنون الرواية المغربية

من خلال جدول بيانى مبسط يتضح ان عدد الروايات التى كتبت بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٦٢ (أى على مدى ١٨ عاما) لم يزد عن ٤١ رواية ، ٣٤ منها باللغة الفرنسية و ٧ فقط باللغة العربية موزعة على المغرب وتونس ودون الجزائر .

ومن هذا الجدول ايضا يتضح ان عدد النسخ يتراوح بين ١٥٠٠ الى ١٥٠٠٠ الف نسخة ، لم يهتم بنشر طبعات شعبية منها غير « غمانويل روبليس » الجزائرى الأصل الذى خصص للأدب المغربى طبعة اسمها « ميديترانيه » .

ومن هذا الجدول ننتبين ان الروائيين المغربيين لم يزد عددهم على ٢١ روائيا ١٣ منهم يعملون بالصحافة والتعليم واثنان يعملان بالوظائف الحكومية واثنان يعملان بالمهن المختلفة وأربعة متفرغون للكتابة .

فإذا كان الروائيون الذين يكتبون بالفرنسية قد تأثروا بأدباء أوروبا والفرنسيين منهم يصيفة خاصة فان الروائيين الذين يكتبون بالعربية على قلتهم قد تأثروا بالأدباء العرب والمصريين منهم بصفة خاصة . . . ومع هذا فان عددا من كتاب اللغة الفرنسية لجأوا الى الإعجاب العربية المترجمة لكبار الكتاب مثل طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ واستطاعوا ان يعزجوا بين تأثيرهم الغربي ومحاولة التأصيل العربية ، ولهذا فان كانت الرواية المغربية قد كتبت باللغة الفرنسية إلا ان الروح نفسها ظلت عربية بل ومغربية جدا في بعض الاحيان .

وفي الوقت الذي لم يعان فيه كتاب اللغة الفرنسية من مشكلة بين اللغة الرفيعة واللغة العادية وهو فارق نوعي يتصل بالأسلوب أكثر من اتصاله باللغة نفسها ، فان كتاب العربية قد واجهوا مشكلة ازدواج اللغة ، فهم يكتبون مثلما يتكلمون مع فارق بسيط هو الفارق الكبير بين لغة الكتابة ولغة الكلام أو بين الفصحي والعامية فممنهم من التزم بلغة « القرآن الكريم » نصا وروحا ومنهم من لجأ الى الفصحي الحديث ان صح التعبير ، ومنهم من كتب فصحي الجرائد والمجلات ، وقليلون هم الذين جروا على استخدام العامية وان لم يكن استخدامها كاملا ، فقد قصروا استخدامها على الحوار ، أما السرد فقد ظل يكتب بالفصحي وان كانت هي الفصحي المخففة . . . وهذه المشكلة لا تقتصر على كتاب الرواية المغربية ولكنها تمتد الى الوطن العربي كله وخاصة بعد فشل المحاولة التي بدأها « توفيق الحكيم » وأطلق عليها مصطلح « اللغة الثالثة » .

توعية الرواية المغربية

تنقسم الرواية المغربية الى خمسة انواع متميزة .. أولها .. « الرواية الشعبية » وهى الرواية التى تهتم بوصف الحياة اليومية مع التركيز على العادات والتقاليد المتوارثة والمكتسبة .. وثانيها « الرواية التاريخية » وهى الرواية التى تستهدف البطولات المعاصرة بالرجوع الى البطولات التاريخية .. وثالثها « الرواية السيكولوجية » وهى الرواية التى تنفذ الى الحياة الداخلية للناس .. ورابعها « الرواية الواقعية » وهى الرواية الاجتماعية التى ترسم صورة مكبرة للحياة الاجتماعية وظروف هذه الحياة .. وخامسها « الرواية الرمزية » وهى الرواية التى تلجأ الى الرمز والتلميح خشية المواجهة والتصريح وخاصة فى زمن الاحتلال والحرب .

أما الشكل فاما أنه يميل الى الترجمة الذاتية أو السيرة الذاتية أو الاعترافات واما أنه يتعرض لحياة الآخرين .. وقد استخدم الشكل الأول ضمير المتكلم احيانا والضمير الثالث احيانا أخرى . بينما اتخذ الشكل الثانى أسلوب السرد والحوار .. الشكل الأول وان كان ذاتى النزعة الا أن كاتبه كان يتخذ من نفسه نموذجنا لمواطنيه ومقياسا لظروف الحياة اما الشكل الثانى فهو جماعى النزعة بالضرورة وان لم يكن كاتبه ملتزما دائما . فهو يتأرجح بين العمل على إثارة القضايا الكبرى والمصيرية والرغبة فى الكشف عن السلبات الشخصية أو الجماعية لمحاولة تفاديها وعلاجها من أجل مجتمع أفضل وحياة أكرم .

الا ان المظاهرة الصحية والطبية وسط كل هذه الأشكال والأساليب والمواصفات والأهداف هي ان ذلك الأدب الروائى عند

مولده وحتى اشتداد عوده مرورا بأعقد الأزمات وأروع الاختبارات لم يكن أدبا موجها أو دعائيا بل كان أدبا إنسانيا بأصدق المعانى وأشرف النوايا والغايات .

ولا يعنى ذلك أن كل كتاب الرواية المغربية قد حافظوا على هذا الاطار وتلك المضامين فقد لجأ البعض الى ما يسمى بالفن للفن دون الالتفات الى القضايا المصيرية الملحة والمشاكل الاجتماعية المثارة . فكان مصيرهم النقد والانتقاد وكان مصير اعمالهم الفشل والاهمال . . فالتونسي « على الدواجى » حاول مقلدا المصرى « عبد القادر المازنى » استخدام الأسلوب الساخر فى كتاباته العربية فضلا عن اختياره لأدب الرحلات ، فقد طاف بموانئ البحر المتوسط وعواصم أوروبا - والمغربى « دريس شرابى » حاول اكتشاف المجهول أو الميتافيزيقا رغم تخصصه فى الكيمياء مدعيا انه يقترب بذلك من الانسان فى كل زمان ومكان دون ان يضطر الى حصر نفسه فى انسان أوروبا المستعمر أو انسان المغرب المستعمر . . ولكنه عاد بعد الهجوم العنيف على نظريته ونظريته الى المشاركة فى أحزان وطنه والعمل على التخلص والخلص .

وهكذا لم تفلح ولم تتجح أساليب معروفة ومنتشرة فى العالم أجمع أبرزها كما رأينا « الاسلوب الساخر » و « الميتافيزيقا » لأن الظروف لم تكن ملائمة والحاجة الى أدب ملتزم كانت ملحة وأن لم يتم ذلك بالتوجيه رغم ما حدث من ضغط على بعض الكتاب لتصحيح مسارهم وتهديف مسيرتهم .

ولعل « جان حمروش » هو نموذج لكتاب جيل المعاناة الذين عبروا عن الغربة سواء خارج أوطانهم أو داخلها .

أيدولوجية الرواية الجديدة

كان على الكتاب المغاربة أن يحددوا دورهم الرائد منذ البداية ولكنهم سرعان ما صدموا بالتيارات المختلفة والتي يزدحم بها تاريخ الأدب العالمى أو الأدبين المغربى والعربى على أقل تقدير. لأنهما الأقرب إليهم .

فإذا كانت الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة والواقع هى المصدر الغربى المرفوض فإن الرومانسية وهى المصدر العربى بقيادة جبران خليل جبران والمنفلوطى ونعيمة والشابى ومحمود تيمور تعدا هى الأخرى مرفوضة . . اما المرفوض فهو الذى حسم الصراع حقا ، وذلك نتيجة للعوامل الخارجية . . فالمستعمر جاثم على صدر الأمة وثقافته المزيفة تستهدف روح هذه الأمة وضميرها . . ولهذا وقع الحمل الأكبر على كاهل هؤلاء الرواد الجدد أو الرواد الشباب برغم طراوة كواهلهم وضعف بصائرهم وبصيرتهم . . تلك الكواهل التى ما لبثت أن اشتد عودها وتلك البصائر والابصار التى قويت رؤيتها بفضل الخبرة والممارسة برغم العزلة ورغم الأزمة وهى قلب ضراوة الاحداث .

يقول ميخائيل نعيمة « الكاتب هو فى الحقيقة فيلسوف ، فهو يرى ما لا يراه الآخرون ويقول ما لا يقدر الآخرون على قوله » ويرى محمود تيمور ان الكاتب « مرآة المجتمع والناس فهو يعكس ما يرونه ويعبر عما يجيش بصدورهم وأفئدتهم » .

وعلى هذا لا يمكن القول بأن الأدب المغربى أو الرواية المغربية قد أشعلت النضال ولكنها قد مهدت لهذا النضال بكل تأكيد ، ونعنى به نضال الجزائر الذى كان آخر معول ينزل على جدار الاستعمار

ليمحو الهزيمة والعار عبر التاريخ الطويل الممتد والتمدد أيضا . .
وباتت كلمات الغضب والازدراء والدم والمقاومة من ابرز ما ورد
فى قاموس هؤلاء الكتاب .

رواد الرواية المغربية

يشارك رواد الرواية المغربية فى صفات كثيرة كتلك التى
ذكرناها حتى الآن ، رغم انتمائهم الى ثلاثة أوطان عربية متاخمة
الحدود . ولكن لكل منهم صفاته الخاصة بحيث يتميز أدبه سواء
على مستوى الرواية المغربية أو على خريطة الأدب الروائى فى العالم
كله . . وكما تمثل المرأة العربية فى عصرنا الحديث فى كافة
المجالات والأنشطة الانسانية والاجتماعية نراها وقد مثلت فى عالم
الرواية المغربية خير تمثيل .

مولود فرعون :

ولد بمدينة تيزى - هيبال الجزائرية عام ١٩١٣ لأب فلاح غير
مهنته فى فرنسا الى عامل . درس مولود بمدرسة المعلمين وتدرج
فى مهنة التدريس حتى أصبح مديرا لمدرسة الجزائر . . ساهم
بالكتابة فى العديد من المجلات المغربية والفرنسية ، اصدر روايات
« ابن الفقير » ١٩٥٠ « الأرض والدم » ١٩٥٤ « الطرق الصاعدة »
١٩٥٧ . . واصدر « المذكرات » عام ١٩٦٢ . . قتل فى ١٦ مارس
١٩٦٢ فى فجر معركة الاستقلال .

اما الرواية الأولى فهى عبارة عن ترجمة ذاتية تحكى حياة
مولود طفلا فى القرية ثم شابا يعانى الفقر والهوان مثل سائر ابناء

شعبه ثم رجلا يشق طريقه بالكفاح والعرق حتى يصل الى منصب متواضع ولكنه كبير بالنسبة لابناء جيله المقهورين والمحرومين من الزاد العلمي والثقافى على السواء .

وتجىء روايته الثانية لتحرك الشخصيات الساكنة وتفجر فيهم المشاعر الجاعدة فقد تعلموا الكراهية كما تعلموا الحب وتعلموا السخرية كما تعلموا العطف والحنو والتسامح . . وبينما كانت الرواية الاولى ترجمة حياة جاءت الرواية الثانية سيرة حياة ، سيرة عامل بسيط يعود الى قريته بعد خمسة عشر عاما قضاه في المهجر فى فرنسا بلد الاعداء وتزوج من فتاة فرنسية سرعان ما يضيق بها عند العودة ، فقد التقى بمحبوبته القديمة ابنة بلده ، ويظل يعانى من هذا التمزق فيندفع نحو الانتحار كحل للخروج من الازمة .

وتكمل الرواية الثالثة أحداث الرواية الثانية فبطلها هو ابن العامل المنتحر الذى ينتحر هو الآخر فى نهاية الأمر نتيجة للحصار المفروض حوله خاصة بعد أن عاش أربع سنوات فى بلد أمه الفرنسية وعاد ليقع فى حب ابنة عمه التى يستدرجها أحد الضباط الفرنسيين فلا تملك الا ان تصارح ابن عمها بالحقيقة المرة ، التى تؤدى الى انتحار الفتى مثلما فعل أبوه ، وكان الانتحار وراثى فى هذه العائلة المنكوبة .

ولكن مولود فرعون لا يقف عند سرد الأحداث بطريقة واقعية ولكنه يتوقف عند وصف الحياة اليومية لأبناء القرية بالإضافة الى اللعب بالرمز من خلال أسلوب يتميز بالحرارة والدفء ولا يخلو من الأمل وان امتلاً باليأس والأحزان .

مولود معمرى :

ولد عام ١٩١٧ بمدينة تارويت بالقرب من زميله مولود فرعون

بالجزائر ، ودرس بالمدارس الجزائرية والمغربية والفرنسية ثم عمل مدرسا حتى وصل الى منصب استاذ الدراسات الأدبية بجامعة الجزائر ٠٠ له ثلاث روايات « الوادى المنسى » ١٩٥٢ ، « نسوم العدل » ١٩٥٥ « الافيون والعصا » ١٩٦٥ .

الرواية الأولى تدور أحداثها فى إحدى قرى الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية بين عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٤ بالتحديد وابطال الرواية ينقسمون الى فريقين أولهما من اتباع الموالى يعيشون على الخمر والرقص وثانيهما ابناء الفلاحين يتمرغون فى الأرض والفقر ، ويستبدعى الجميع للمشاركة فى الحرب ، فيودع كل منهم أقاربه ومعارفه حتى يتوقف الكاتب عند واحد من الفريق الأول وآخر من الفريق الثانى يودع كل منهما حبيبته ليصور لنا مشاعر كل فريق أو بكل طبقة ومدى استعداده للتضحية والفداء أى التراجع وحب الذات .

أما فى الرواية الثانية فيحاول معمري أن يدفع بأبطاله الى ساحة الفداء بشيء من الالتزام ذلك أن الحرب ليست حربا غريبة ولكنها حرب الوطن ، فقد انقلب الأمر وأصبح المواطن الجزائرى مدافعا عن أرضه وليس عن أرض غيره .٠٠ ومع هذا فالحرب لم تحقق الاستقلال بعد وكل شيء لا يزال مختلفا ، الخير والشر ، العدل والظلم ، النظام والفوضى ، البطولة والخيانة حتى ان نهاية البطل كانت السجن ونهاية شقيقته النفى ونهاية شقيقه الموت .

وتصل الى رواية معمري الثالثة فنجد ان ذبرة اليأس قد بدأت، تنتشر فى عباراته فالحرب طالمت والموت والفساد تفشى والظلم تسيد .

ويقرر مولود معمري ان يركن الى الصمت حتى تنتهى المعارك الأليمة ليسجل فى هدوء تاريخ المليون شهيد .

ولد بمدينة تلمسان بالجزائر عام ١٩٢٠ ، عمل بعد دراسته الثانوية صانع سجاد ثم مدرسا بالابتدائي ثم صحفيا ٠٠ كتب روايات «البيت الكبير» ١٩٥٢ ٠٠ «الحريق» ١٩٥٤ ، «مهنة النسيج» ١٩٥٧ ، « من ذا الذى يتذكر البحر » ١٩٦٢ ، هذا فيما عدا مجموعات من القصص القصيرة والأشعار فضلا عن مسرحية وأحدة وسيناريو فيلم واحد .

منذ الوهلة الأولى نشم رائحة « بلزاك » فى اعمال محمد ديب الذى يعد واحدا من ابرز الكتاب الجماهيريين فهو يصور حياة الناس اليومية مبينا أن هؤلاء لا يركزون الى حياتهم القائمة ولا يرجعون داخل سجنهم الكبير ولكنهم يتحركون من أجل الخلاص بأى شكل وبأى ثمن وهو لهذا يناقش الأوضاع الطبقيّة لأبناء الشعب الواحد والضمير الوطنى داخل كل واحد من أبناء هذا الوطن المحارب والمحارب معا .

فبطل الرواية الأولى ممزق الاحساس والارادة فهو لا يعرف الفرق بين غنى وفقير بين قرنسى ومسلم ، فقد تلقى فى مدرسته تعاليم خاطئة ومضللة ، وعندما يخرج الى الحياة العملية يكتشف أن كل شىء مختلف وأن النظرية غير التطبيق وأنه معدم مثل مواطنيه وأن حياته عدم مثل وطنه . فيثور ولكن محاولاته تبوء بالفشل ، فلا يكف عن تصحيح المعلومات للصغار ، ويستسلم لهذا الدور التربوى فلا يزال النضال على الأبواب .

وقد عالج « محمد ديب » أدبه بشىء من التجديد متأثرا الى حد كبير بكتاب الرواية الجديدة فى فرنسا ، فهو وإن كان يلتزم بالواقعية الشديدة إلا أنه يضع الأشياء فى مكانة لا تقل عن الانسان ويجعل من الزمن عنصرا فعلا ومن الطبيعة اطارا هاما وهو يمزج

فضلا عن هذا كله الواقع بالخيال والحقيقة بالرمز والصور الشعرية
بالمواقف اليومية حتى الحرب لم يثأ أن يصفها وصفا تطبيقيا فقد
لجا مثلما فعل بيكاسو فى لوحته الشهيرة « جرنیکا » الى أسلوب
الايحاء والتركيز واختيار الجزء للاشارة الى الكل ، وكأنه يجمع بين
الاسطورة والتاريخ أو بين الماضى والحاضر فى وقت واحد ومكان
واحد ورؤية واحدة .

مالك حداد :

ولد بقسطنطينة عام ١٩٢٧ ودرس بها ثم التحق بحقوق اكس
اون بروفونس ولكنه هجرها الى الكتابة الصحفية فى فرنسا
والجزائر ٠٠ اصدر ديوانين من الشعر وأربع روايات ٠٠ « الانطباع
الأخير » ١٩٥٦ ، « سأمحك وردة » ١٩٥٩ ، « التلميذ والدرس »
١٩٦٠ ، « الرصيف الوردى لا يجيب أبدا » ١٩٦١ .

اما روايات مالك حداد فهى « حلم الحلم » على حد تعبيره ،
وهى « حياة الحياة » على حد تعبير « عبد الكبير خطيبى » ٠٠ فهو
يكرر الملامح العامة التى تشكل أعماله الروائية وهى الوطن والمنفى
والسعادة والالتزام ٠٠ فى الرواية مثلا نجد ان المهندس الجزائرى
يهدم بنفسه الكوبرى الذى بناه بنفسه ، وفى الرواية الثانية لا يريد
الطبيب الجزائرى ان يعترف بالجيل الجديد من الأطباء فيصر على
أجراء عملية ولادة لابنته فيقضى على حياتها بنفسه ، وفى الرواية
الثالثة يظل الكاتب الجزائرى غارقا فى أوهامه الثقافية بعيدا عن
أحداث وطنه حتى تصيبه رصاصات الأعداء فيخر صريعا .

وهكذا نجد ان كل شخصيات مالك حداد شخصيات باهتة
ومسطحة وغير واقعية بمعنى انها لا تعيش فى الواقع ولكنها تدفع
الثمن حياتها أو حياة المقربين ٠٠ ومع هذا يؤكد « حداد » دائما

على النضال ولو من خلال شخصية ثانوية فى كل رواية من رواياته
الأربع .

كاتب ياسين :

ولد بمدينة قسنطينة عام ١٩٢٩ ودرس بكلية «سيتيف» وقبض عليه فى حركة ٨ مايو ١٩٤٥ . ثم عمل بجريدة الجزائر ورحل الى الشرق الأوسط وأوروبا ثم استقر بباريس . كتب المسرحية والقصة والشعر والرواية . وبرز رواياته « نجمة » ١٩٥٦ ، « المربع المرصع بالنجوم » ١٩٦٦ .

وقد كان « كاتب ياسين » هو الوحيد من بين الكتاب المغاربة الذى استقبل استقبالا نقديا حافلا ، لا لأنه كاتب عربى يكتب بالفرنسية عن وطنه الذى يعيش ظروفا عسيرة ، ولكن لأنه كاتب وشاعر تفوق على معاصريه من الأمريكيين . على حد تعبير موريس نادو . واقترب كثيرا من رامبو على حد تعبير كلود روى - واستطاع ان يتفوق فى النثر والشعر معا وان يخلق لادبه شخصية مستقلة متميزة . فضلا عن كل هذا تمكن كاتب ياسين من تجديد شباب الرواية المغربية فقد أدرك ان المضمون القوي قد يفقد تأثيره بزوال الاحداث المؤثرة اما الشكل الفنى المتميز فهو الذى يبقى وتبقى جاذبيته .

و « نجمة » زوجة كمال يحبها أربعة اصدقاء يعيشون معا فى بون . أما نجمة فهى ابنة سيدة فرنسية كانت لها علاقة بوالد أحد هؤلاء الأربعة . ويقتل الأب ويشاع ان قاتله هو غريمه فى حب أم نجمة ويلتقى الابن بقاتل ابيه طالبا منه معرفة حقيقة نجمة فى مقابل اطلاق سراحه ، فهل هى ابنة ابيه المقتل أم أنها ابنة القاتل ؟ وتكون المفاجأة عندما يصرح القاتل بأنه والد زوج نجمة وقد يكون هو أيضا والد نجمة .

ويرى باشلار ان كاتب ياسين « يمزج الواقع بالخيال ليخلق احداثا غريبة-لا تقل غرابة عما يحدث فى وطنه مركزا على اختلاط الاجناس وما يجره هذا الاختلاط من مشاكل فضلا عن ضياع كل جنس فى الجنس الآخر مما يزيد من الازمة وليس العكس كما قد يظن اساتذة الاجناس والاجتماع ٠٠ فنجمة بطبيعة الحال هى الجزائر ، هى المرأة المرغوبة والضحية فى الوقت نفسه ، وهى الوطن المحتل والمنهار معا » ٠٠

أما أسلوب « كاتب ياسين » فهو ذلك الاسلوب الذى يرتفع بالنتر الى مرتبة الشعر والذى يحلق بالشعر حتى يبدو وكأنه نثر ٠٠ فلا فرق عنده بين النثر والشعر ، كلاما شفاف وكلاما نغم وكلاما حياة ٠٠ كذلك تبدو القصيدة وكأنها رواية والرواية كأنها مسرحية والمسرحية كأنها قصة وهكذا فلا فواصل عنده ولا حدود بين أنواع العمل الفنى لأنه يقدم فى النهاية عملا فنيا .

آسيا جبار :

ولدت بالجزائر عام ١٩٢٦ ودرست بالمدارس الثانوية وحصلت على منحة بالمدرسة العليا ببافيس وعينت معيدة بجامعة الرباط ثم أستاذة بها .

أصدرت ثلاث روايات « العطش » ١٩٥٧ ، « الناقد والصبر » ١٩٥٨ ٠٠ « اطفال العالم الجديد » ١٩٦٢ ٠٠

وتقارن أولى روايات « اسيا جبار » دائما برواية فرنسواز ساجان « صباح الخير ايها الحزن » كما تقارن بروايات ليلسى بعلبكي ٠٠ فشخصيات « العطش » يموتون من الحب والرغبة فى ظروف غامضة ٠٠ ولكن الفرق بين ساجان أو بعلبكي وبين آسيا جبار هو ان الكاتبة الجزائرية تعنى وطنها قبل كل شئ ولا تقف

بسذاجة عند جسد المرأة ورغبتها كما تصور بعض النقاد فهاجموا هجومًا عنيفًا ٠٠ ولهذا حاولت في روايتها الثانية أن تكشف عن حجاب رموزها .

وهنا تنبه النقد إلى فكر « آسيا جبار » وطريقتها الخاصة في صياغة الرمز ، لأنها تكره المباشرة والواقعية كما تكره الخيال والميتافيزيقا أيضا ٠٠ ولهذا جاءت روايتها الثالثة التي كتبتها في منفاهها بالمغرب أثناء اشتداد المعارك صورة حية من خلال نماذج عديدة للمرأة الجزائرية ودورها الفعال في حرب الاستقلال .

والى جانب هؤلاء لا يمكن للدارس للرواية المغربية والراصد لحركتها أن ينسى « عبد القادر بك هاشمي » و « عبد المجيد بن جاللون » و « مراد بوربون » و « جميلة ديباشا » و « خايف البشير » و « هنري كريباه » و « محمود السعدى » و « مالك عوارى » و « محمد الصباغ » و « أحمد سفيوي » و « مارجريت حمروش طاووس » .

فهم جميعا قد ساهموا مساهمة فعالة في إيجاد تيار جديد فرض نفسه على تاريخ الأدب العالمى ، هذا التيار اسمه « الرواية المغربية » ٠٠ تلك الرواية التي حاولت أن تخرج من سجنها على مدى ثمانية عشر عاما من الكفاح وسنوات طويلة أيضا في أعقاب الاستقلال .

ولكن قدرها أنها ولدت مناضلة لتظل كذلك ٠٠ فوجودها أصله اجتماعى ودورها ليس أكثر من دور تاريخى على أهميته وخطواته .

ومن هنا بقاء كاتب مثل « كاتب ياسين » دون غيره من كتّاب الرواية المغربية ٠٠ لأنه استطاع أن يحافظ على التوازن وأن يجمع المعادلة الصعبة ، فلم يفقد أدبه روح النضال التي تمنحه جواز السفر إلى التاريخ أو وصف الحياة اليومية الذى يعطيه حق الإقامة داخل المجتمع ، فى الوقت الذى يحصل فيه على تأشيرة خروج إلى

العالم الرحب المفسيح من خلال شاعريته ومن خلال ربط الأسطورة
بالمواقع للتخليق فى المجال الجوى الانسانى والعبور بموانئ العصور
المتدة فى البحر اللانهائى ، بحر الأدب الرفيع ..

والغريب بعد ذلك أن معظم كتاب الرواية المغربية قد وجدوا
أنفسهم بلا دور بعد الاستقلال ، فأقلموا اقامة كاملة بباريس -محيى
ديب ، كربياه شرابى « وحاولوا كتابة مايسمى بالرواية العلمية .
أو اهتموا بتدريس الأدب مع تخصيص مادة كاملة لتاريخ الرواية
المغربية كما يفعل معمرى وأسيا جبار .. أو تركوا العمل الأدبى
واتجهوا الى العمل السياسى والدبلوماسى مثل المسعدى .. أو
استمروا فى العمل الصحفى بعيدا عن الابداع مثل الأشرف
ويوربون ثم بن جلون الذى بدأ انتاجه المتميز فى الظهور وخاصة
بعد فوزه بجائزة الجونكور ..

ولكن جيلا جديدا يتهيا لحمل الراية التى لا يزال يمسك بها
ويرفعها عاليا « كاتب ياسين » وخاصة بعد أن جرب الكتابة باللغة
العربية وحقق نجاحا كبيرا .

فالرواية المغربية التى ولدت ناضجة وفتية لا يمكن أن تموت
بالنصر أو تموت من النصر .. فالنصر حياة جديدة وميلاد جديد
قادر على تجديد الشباب ، شباب « الرواية المغربية » .

أدباء وفتانون ٠٠ من السودان

قد يظن القارئ ان الأدب السوداني توقف عند شعراء السودان الأوائل « التيجاني يوسف بشيز » و «محمد أحمد محبوب» و « محمد المهدي المجذوب » ثم « محيي الدين صابر » و « جيلى عبد الرحمن » و « سيد الحردك » ٠٠ وكاتبه الروائى الشهير « الطيب صالح » .

ولكن الحقيقة تكشف عن شخصيات أدبية وفنية لها وزنها فى الحركة الثقافية السودانية بخاصة وحركة الثقافة الافريقية بشكل عام ٠٠ ففى ختام المهرجان الثقافى برز عدد من الشخصيات الأدبية والفنية فى طليعتها :

د ٠ مكي شببكة

اسهم فى كتابة تازيخ السودان وفى تحقيق تاريخ وادى النيل بشكل عام ٠٠ وتحمل مؤلفاته الأخرى التى تتناول هذا الموضوع الحيوى الهام ؛ وجهة نظر لها أثرها فى أحداث المنطقة المرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيئة من الناحية الجغرافية ٠٠ وهو لهذا يعد الرائد الأول فى مجال العلوم التاريخية الحديثة فى السودان .

د ٠ عون الشريف قاسم

من الشخصيات البارزة فى المؤتمرات الاقليمية والدولية، ورغم أنه يعمل بالتدريس الا أنه ينكب على العديد من المؤلفات التى تناقش فى اطار عصرى علاقة الدين بالحياة وعلاقة التراث ببناء الشخصية

الحضارية ٠٠ وهو من أشد الزافضين للاستعمار بشتى صورته ليسقط فقط على أرض السواندن ولكن قى جسم الأمة العربية جدلة وتقضيلاً ٠٠ ولا يقتصر اسهام الدكتور عون على الدراسات الاكاديمية الجادة أو المؤتمرات العلمية ولكنه يكتب أيضاً فى الصحف والمجلات السودانية والأجنبية على السواء .

عبد الله الطيب

شاعر وثاقّد وكاتب مسرحى ٠٠ ومثلما يكتب بلغته العربية يكتب أيضاً باللغة الانجليزية ٠٠ وقد لعب دورا بارزا فى اثراء حركة الترجمة وارساء قواعدهما والتأكيد على اهميتها سواء فى التعريف بالحضارة الأجنبية للاقادة منها أو بتعريف الأجانب بالفكر السودانى ليحدث هذا التفاعل الحى بين ثقافات العالم المختلفة وخاصة بين الدول المتقدمة ودول العالم الثالث النامية .

تجم الدين محمد شريف

من أبرز الأثريين العرب ، فقد عمل أكثر من خمسة عشر عاماً قى انقاذ آثار النوبة وفى انشاء متحف السودان القومى ٠٠ وله مؤلفات عن عالم الآثار ، نال بعضها تقدير المؤتمرات الأسترية العالمية ٠٠ وقد عهد اليه بالبحث فى عتاصر الوحدة من حيث التاريخ والآثار والعلوم الانسانية الأخرى ، فنجح قى تقديم النظريات الحيوية التى تؤكد قيام هذه الوحدة الأصلية ، وحدة وأدى النيل .

أحمد محمد شبرين

: أحد الذين أسسوا مدرسة الخرطوم للفنون التشكيلية ٠٠ أقام الى جانب التدريس اثنى عشر معرضاً خاصاً فى السودان وخارج السودان ، كما شارك فى المعارض الجماعية المحلية والعالمية .

ليؤكد اتجاهه الخاص فى الخطوط وتطويرها ٠٠ ولا يقف عند حدود الابداع الفنى ولكنه يبدع فى مقالاته النقدية وأبحاثه فى الصحف والمجلات السودانية والعالمية ٠٠ وله أيضا مؤلفات خاصة ٠٠ كذلك امتد نشاطه الى تعميم الأوسمة والنياشين والخرائط والمباني ٠

د ٠ فرنسيس دينق

عالج العديد من القضايا المصيرية مبينا تلك الفجوة العميقة بين الشمال والجنوب والتي طالما استغلها الاستعمار ليفرق دائما بين قطبى الوحدة التاريخية والجغرافية وقد استند فى تحاليله الى الموروث الشعبى الذى يؤكد ان السودان جزء لا يتجزأ من الوطن الأفريقى الكبير وأنه الامتداد الطبيعى لمصر درة أفريقيا وأم الحضارات ٠

خالد أبو الروس

عرف بلقب « أبو المسرح السودانى » فهو أول من كتب للمسرح بلغة السودان الشعبية ومن أشهر مسرحياته «مصرع محلق وتاجوج» عام ١٩٣٢ و « خراب سوريا » عام ١٩٣٣ ٠٠ وهو أول من كتب المونولوج السودانى عام ١٩٣٤ ٠٠ ولم يكتف بذلك فساهم بأرائه النقدية فى الصحف السودانية على مدى عشر سنوات ، وعلى مدى خمسة وأربعين عاما ظل يعمل وحتى الآن بالتدريس موجهها تربويا وثقافيا بوزارة التربية ٠

شرحيل أحمد

اطلق عليه لقب « ملك الجاز » بعد أن أدخل الآلات الموسيقية الغربية جنبا الى جنب مع الآلات المشرقية المصميمة من ناحية والآلات الافريقية التقليدية من ناحية أخرى لتصاحب الأغنية السودانية

الحديثة التي لا تنعزل عن جذورها الحانا وكلمات ، وهو بعد هذا
عازف جيتار موهوب وصوت دافىء معبر عن الاحاسيس السودانية
الصادقة وقد مثل السودان في مهرجانات عالمية للأغنية الخفيفة
والأغنية الشعبية على السواء .

سعيدة الصلحي

أوقفت حياتها واهتماماتها على دراسة تاريخ الأزياء وتطوير
فنونها ، ولم تقف عند الأزياء السودانية فحسب بل امتد اهتمامها
الى دراسة وتطوير الأزياء الافريقية . . . ولذلك اختيرت للإشراف
على لجنة مهرجان لاجوس للفنون الافريقية والسودان ، كما شاركت
فى معرض اثيوبيا ثم معرض طرابلس فضلا عن معارض دولية
كثيرة . . . وتعد أول مصممة لأزياء فرقة الفنون الشعبية السودانية .

هل هي ثورة ٠٠ في عالم الكتب

نظرا لأهمية الكلمة المكتوبة في تقدم الحضارة الانسانية ،
ونظرا لأهمية الدور الذي تلعبه الكتب في تطوير الحياة الاجتماعية ،
اتخذ المؤتمر العام لليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم
والثقافة) في دورته السادسة عشرة (نوفمبر ٧٠) من عام ١٩٧٢
« عاما دوليا للكتاب » جاعلا شعاره « كتب للجميع » .

وقد عقدت من أجل النهوض بالكتاب اجتماعات ثلاثة في آسيا
(طوكيو ٦٦) وأفريقيا (أكرا ٦٨) وأمريكا اللاتينية (بوجوتا ٦٩) .
اضيف إليها اجتماع رابع للبلاد العربية عقد بالقاهرة وحضره خبراء
من (١٤) دولة عربية ومراقبون من الاتحاد السوفيتي وإنجلترا
والهند وممثلون لست هيئات تابعة للأمم المتحدة فضلا عن المدير
المساعد للعلاقات باليونسكو « البرتواوبليجادو » وقد اختير الدكتور
محمود الشنيطي (من مصر) رئيسا للاجتماع كما اختير عبد القادر
بن شيخ (من تونس) واحمد سعد الجاسر (الكويت) وعبد الأمير
معلي (العراق) وبهيج عثمان (لبنان) نوابا للرئيس .

ووافق « الاجتماع » في بداية جلساته على « ميثاق الكتاب »
المعلن ببروكسل (في ٢٢ أكتوبر ٧١) ببذوده العشرة التي تؤكد
على أن :

- (١) كل فرد له حق القراءة (٢) الكتب ضرورة لا غنى عنها
- (٣) من واجب المجتمع ان يخلق الظروف لايجاد النشاط الخلاق
- للكتب (٤) التنمية القومية تستوجب صناعة سليمة للنشر (٥) تطوير

النشر يستلزم تهيئة الظروف لصناعة الكتب (٦) المكتبات تعد اداة ربط بين الناشرين والقراء (٧) المكتبات جزء من الدخل القومي فهي مواطن المعرفة (٨) الوثائق تخدم قضية الكتاب (٩) التداول يعد تكاملا للنتاج القومي (١٠) الكتب تخدم قضية التفاهم والتعاون بين الدول .

وكان الموضوع الرئيسى المطروح للمناقشة فى « اجتماع خبراء البلاد العربية » هو « التعاون الاقليمى بين الدول العربية بشأن النهوض بالكتاب » ٠٠ ومن أهم الأبحاث التى قُدمت فى الاجتماع البحث الذى أعده المغربى « أحمد الأخضر » عن « الحُلُول المجدية لمشاكل الطباعة العربية » ويهدف الى تبسيط الحروف وخفض عددها (وقد أقرت الحكومة المغربية هذه الحلول ووضعتها موضع التنفيذ) وبحثا آخر أعده « ك. ر. ماير » عن « امكانات زيادة الانتاج المحلى من الورق الثقافى فى البلاد العربية » وبحث ثالث أعدته « سكرتارية اليونسكو » عن « مشكلات الكتاب فى البلاد العربية » حيث برزت حقائق اهمها : ان نسبة الأمية فى الدول العربية الستة عشرة تصل الى ٧٣٪ فعدد المتعلمين يبلغ ١٨ مليوناً من ١٢٥ فى الدول العربية لاتتعدى ١٪ من الإنتاج العالمى و ٥ آلاف كتاب فى السنة فى مقابل ٤٩٦ الف فى العالم ، تنتج مصر وحدها الفين من الكتب) ٠٠ لما عدد النسخ فيصل الى ٥٠ مليون بمعدل ٤٠ كتابا لكل مليون نسمة أى نصف نسخة لكل فرد ، والمعدل العالمى يبلغ ١٤٠ كتابا أى أكثر من نسختين لكل فرد ، بينما يصل المعدل الأوروبى وحده الى ٤٩٠ كتابا أى ٧ نسخ لكل فرد ٠٠ وتبلغ نسبة الكتب الدزاسية التى يفيد منها ١٤٣٩٦ الف طالبا فى الدول العربية (وتصنع بصورة غير جذابة كما تغرض اعدادها على نحو سيىء) الى ٣ بينما النسبة العالمية متساوية ٠٠ ويبلغ انتاج الكتب الاجتماعية ٢٤٪ والآداب ٢٠٪ (وهى نسب متساوية مع النسب العالمية) أما كتب الدين التى تبلغ ١١ر٥٪ (فهى تزيد بنسبة ٩٪) بينما قلت

كتب العلوم التطبيقية ١٠٪ والعلوم البحتة ٤٥٪ والفنون ٢٥٪
عن النسب العالمية وتقل أكثر كتب الاطفال البالغ عددهم فى الدول
العربية ٢٥ مليوناً بالاضافة الى ٢٠٠ الف فى دور الحضانة ٠٠
وان أعلى نسبة من الكتب العربية المترجمة الى لغات أجنبية بلغت
فى سنة ٦٧ حوالى ٥٠٪ من النسبة العالمية (٢١٧ كتاباً ٤٠٪
منها كتباً دينية) .

ونصل الى التوصيات التى اعلنت فى ختام الاجتماع وبلغ
عددها ٥٨ توصية نذكر منها :

(١) بداية تخطيط شامل يمتد الى عام ١٩٩٠ (٢) مكافحة الأمية
كمفتاح لانتشار الكتب (٣) حماية حقوق المؤلفين والمترجمين
والانضمام الى الاتفاقيات الدولية وخاصة الاتفاقية التى صدرت عام
١٩٥٢ (٤) تشجيع الابداع الادبى وبصفة خاصة لدى الشباب
باجراء مسابقات ومنح جوائز سخية (٥) العناية بكتب الاطفال
(٦) الاهتمام بالترجمة الى اللغات الأجنبية (٧) العمل على انتاج
الورق محلياً تجنباً لازمات الاستيراد المستمرة (٨) تخفيض الرسوم
الجمركية على الكتب وعلى المواد المستخدمة فى انتاجها وعلى ورق
الصحف (٩) تخفيض رسوم النقل الجوى والبحرى المفروضة على
الكتب (١٠) انشاء مركز اقليمى للكتاب فى البلاد العربية .

وقد اتخذت بالفعل خطوات ايجابية بشأن انشاء « المركز
الاقليمى للكتاب » فتقرر ان يكون مقره الدائم بالقاهرة حيث يشغل
جزءاً من المبنى الجديد للهيئة المصرية العامة للكتاب الذى يضم
دار الكتب ودار النشر ٠٠ على ان يهتم هذا المركز (١) بتنظيم السوق
العربية للكتاب (٢) وحل المشكلات الجمركية ومشكلات النقل
(٣) وتدريب المهنيين (٤) وحماية حقوق المؤلفين والمترجمين (٥)
وتشجيع القراءة (٦) وتبادل الوثائق .

وتبقى بعض الملاحظات التي كان من الممكن أن ترتفع الى مستوى التوصيات ونأمل أن يضعها « المركز الاقليمي » المزمع انشاؤه موضع الاعتبار ٠٠ (١) حظر طباعة الكتب الجنسية المرخصة التي تنتشر في الاسواق العربية (٢) عدم ترجمة الكتاب الأجنبي الواحد الى اللغة العربية أكثر من مرة لاتاحة الفرصة أمام ترجمة مزيد من الكتب (٣) رفع مستوى الترجمة عن طريق لجنة فحص تتبع المركز الاقليمي (٤) الارتفاع بمستوى الكتاب المؤلف عن طريق لجنة قراءة تابعة لنفس المركز وتسرى أحكامها أيضا على النشر الخالص (٥) تخفيض اسعار نشر الاعلانات الخاصة بالكتب في الصحف والمجلات والتليفزيون بنسبة كبيرة تيسيرا للدعاية المتقدمة (٦) مساهمة اليونسكو في خفض أسعار الكتب الأجنبية التي تستوردها الدول العربية (٧) خفض الضرائب بالنسبة لدور الطباعة والنشر (٨) انشاء دار نشر متخصصة في انتاج كتب الاطفال .

وهل تتقذون ٠٠ الكتاب ياكتاب

ان ترتفع فجأة ويوما بعد يوم أسعار الكتاب فى العالم وفى مصر نتيجة لأزمة الورق شىء جائز ٠٠ أما أن ترتفع أسعار الكتاب المطبوع قبل أن تحدث الازمة ، فهذا هو « التلاعب » الذى يؤكد أن الكتاب قد أصبح « سلعة » وان التعامل معه أصبح تجارة تدر الربح السريع والمغالى فيه سواء فى القطاع الخاص أو القطاع العام ٠٠ بينما الطبيعى أن يظل الكتاب فى القطاع العام واحداً من مجالات « الخدمة العامة » لما له من أهمية فى التربية والتوعية والتثقيف والاعلام ، وكذلك بالنسبة للقطاع الخاص الذى يفترض أن أصحاب دور النشر فيه « أصحاب رسالة » وليسوا تجارا ، والا اتجهوا الى مشروعات أخرى أكثر كسبا والى سلع أخرى أكثر رواجاً ٠٠ فما يحدث الآن يخضع لأحكام « الغش » و « السرقة » ، ذلك أن الناشرين ومؤلفى الكتب المدرسية ، والجامعية والعامة ، اما أنهم « يكشطون » السعر القديم ويضعون سعرا مضاعفا ، أو « ينزعون » الغلاف القديم ويضعون غلافا يحمل سعرا جديدا ٠٠ سواء بالنسبة للكتب الحكومية أو الكتب الخاصة ٠٠ وكثيرا ما « يجمع » الناشر اللبنانيون كل الكمية المطبوعة من الكتاب ، اما من المكتبات أو من مخازن هيئة الكتاب ثم يغيرون الغلاف ويبيعونها بسعر مرتفع فى بيروت والقاهرة على السواء .

هذه الظاهرة الخطيرة وغيرها من الظواهر المتعلقة بمشاكل الكتاب ، جديرة بالمناقشة والبحث فى اطار « المعرض الدولى للكتاب » الذى يقام كل عام بالقاهرة ، من أجل انقاذ الكتاب .

أزمة الترجمة ٠٠ وروح العصر

الترجمة هي أصلا من أجل القارئ الذى لا يجيد لغة النص
الأصلى ٠٠ فكيف يتسنى للمترجم أن يقدم له ترجمة سليمة وأمينه
على ضوء هذا المفهوم المبدئى ؟

تشبه الترجمة عمليات « نقل الدم » تلك التى تتطلب توافق
الفضائل ، فصيلة النص الأصلى وفصيلة النص المترجم ، فالشعر
شعر ، والنثر نثر ، والرواية رواية ، والمسرحية مسرحية وهكذا .

لكن البعض يرى أن النص المترجم لا ينبغى أن يعطينا الاحساس
بأنه كذلك ٠٠ ويرى البعض الآخر أن نجاح الترجمة هو فى مطابقتها
مرة أخرى بالأصل ٠٠ أما عملية « نقل الروح » فهى أقرب الى
« الاقتباس » منها الى الترجمة ، وهنا فقط يمكن أحداث التغيير ،
« فيصير » الخواجة » ، « شيخا » ويصبح « جوزيف » ، « يوسف »
أو حتى « عوضين » ٠٠ بينما تقتضى الترجمة الاحتفاظ بالاسماء
والمسميات كما هى ، فنقول « ميشيل » وليس « ميخائيل » ونقول
« الساعة ١٤ » وليس « ٢ بعد الظهر » ونبقى على القمر مؤنثا
والشمس مذكرا .

وقضى هذا يقول ناقد (التايمز) بعد قراءته لمسرحية توفيق
الحكيم : « ٠٠ يصدم العقل الغربى بأشياء غير مألوفة ، ففى حين
ان القمر عندنا مؤنث نجد ان الوزير عندهم اسمه « قمر » وان
« شهر زاد » التى تعنى الشمس هى عندنا مذكرة » ٠٠

أما فكرة « المياه الاقليمية » التى يدخل فيها النص الأصلى
ليتحول الى نص محلى ، فهى غير واردة ، لأنه ليس من المتقول
ان يرتدى المواطن الغربى جلبابا لمجرد انتقاله من بلد الى آخر ،

فضلا عن تغيير لهجته وعاداته وتقاليده ومفاهيمه ذاتها ٠٠ وهل تصبح مثلا سفينة الشحن بما عليها من بضائع ، أو باخرة الركاب بما فيها من مسافرين ، بنمية لمجرد عبورها أو رسوها فى قناة بنما ؟

فى أوروبا ، بكل لغاتها المختلفة ، يستخدمون كلمة « يوم سعيد » فى تحية الصباح ، بينما نستخدم نحن كلمة « صباح الخير » أو « صبحك الله بالخير » .

والترجمة الأمانة ، لن تفسد الأدب بأى حال اذا هى حافظت على التعبير الأول عند نقله الى اللغة العربية وعلى التعبير الثانى اذا هى نقلته الى اللغات الأجنبية .

وكثيرا ما يحدث هذا عند نقل الأمثلة الشعبية لكل أمة من الأمم والطبيعى أن ينقل المثل كما هو ، ولا مانع من ذكر المثل المقابل له فى اللغة المنقول اليها النص الأصيل فى الهامش .

فاذا انتقلنا الى صيغ الاستعارة والكناية البلاغية ، وجدنا ان تشبيه الرجل بالجمال فى اللغة العربية يعنى وصفه بالصبر والقدرة على التحمل ، وهو تشبيه لا يعنى شيئا فى اللغات الأجنبية . بينما تشبيه الرجل بالأسد يدل على المعنى المقصود ، فى أية لغة من اللغات ٠٠ وفى فرنسا يستخدمون تعبير « بقرتى العجوز » للدلال والمداعبة ، وهو تعبير قد يؤخذ فى أى وطن آخر على أنه اهانة .

ويبقى الشعر من مشكلات الترجمة المستعصية ، ذلك ان نقل المضمون دون الشكل يفقد الشعر جرسه وايقاعاته أو موسيقاه ، وهل يمكن ترجمة الموسيقى ؟

لذا فان عملية « نقل المعنى » ينبغى أن تصحبها عملية « نقل المبنى » ايضا حتى يتم نقل « الكائن » بأكمله ٠٠ وهنا ترتفع « الترجمة » بامانتها وصياغتها البلاغية والأدبية الى مستوى التأليف الابداعى ذاته .

قضية الترجمة ٠٠ وروح النص

على الرغم من أهمية الترجمة ، ودورها الفعال الذى تلعبه فى التعريف بالحضارات والثقافات والتقريب بينها ، منذ مطلع عصر النهضة وحتى الآن ٠٠ فضلا عن تبادل وجهات النظر بين الحكومات وعقد الصلات بين الشعوب والتواصل بين الأجيال ، وبالرغم من الجهد المبذول فيها وعناصر الابداع الأدبى والفنى التى ينبغى أن تتوافر لها فلا يزال ينظر اليها على انها عملية آلية أو مهنة أو حرفة أو بالكثير أدب من الدرجة الثانية ٠٠ وهى نظرة قاصرة علينا هنا فى مصر وفى مصر وحدها ، وفى الآونة الأخيرة بصفة خاصة ، فما مكبدا كانت النظرة خلال عصر رفاة الطهطاوى ومحمد عبده. التبشيري وعصر عباس العقاد وطه حسين التتويرى وعصر غنيمى. ملال وحسن عثمان التوجيهى ٠٠ فان أكثر الدول تخلفا فى افريقيا السوداء وفى الوطن العربى ، أصبحت تهتم بالترجمة والمترجمين ، اهتماما أدبيا وماديا ، كبيرا وملموسا معا .

فى الكويت مثلا تحتسب الكلمة الواحدة بثلاثين مليما ، بينما تحتسب فى مصر بستة مليمات فقط ، ولا يزال مشروع رفع هذه القيمة الضعيفة فى ظل ارتفاع الاسعار ومستوى المعيشة الى عشرين مليما معطلا فى كل مراحلها وعلى جميع المستويات .

ولا يتوقف الاهمال والازدراء عند هذا الحد ، فقد وصل من ناحية الى التصدى الغريب والعجيب حقا لايقاف سلسلة « روائع المسرح العالمى » وسلسلة « روايات عالمية » اللتين كانتا تصدران بانتظام عن « الهيئة المصرية العامة للكتاب » وهى الهيئة الحكومية.

الوحيدة التي يحقق لنا محاسبتها والاعتماد عليها ، الى أن اُعاد د . سمير سرحان اصـدارهما من جديد ٠٠ ومن ناحية أخرى وصل هذا الـاهمال وذلك الـازدراء الى الـوقفة الـغريبة والعجيبة فعلا التي وقفها غالبية الـاعضاء - وهم من الـاساتذة والـدكاترة الـاجلاء - فى لجنة الـترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة ، ضد منح الجائزة لـأساتذة ودكاترة هم أيضا أجلاء لهم فضل كبير وجهد وقيام وانتاج غزير ، لا يستحقون عليه الجائزة التشجيعية بجنيهاتها الألف فحسب فقد تعدوا مرحلة التشجيع وان لم يصلوا بعد الى مرحلة التقدير ، ولذلك أصبح انشاء الجائزة الـوسط بين التشجيعية والتقديرية ، ضرورة ملحة لهؤلاء ولبن فى مستواهم واعمارهم ، ليس فيما يتعلق بالترجمة وحدها ولكن فى كافة فروع العلم والمعرفة .

فاذا كان هؤلاء الـاساتذة والـدكاترة - اعضاء لجنة الـترجمة - قد رأوا أن اعمال الـاساتذة الـدكاترة الـمقدمة للمجلس ، لا ترقى الى مستوى الجائزة ، وهو عكس ما قاله النقاد الذين كتبوا عن تلك الاعمال ، والقراء الذين اقبلوا على قراءتها ، فلماذا لم يستخدموا حقهم - كما تنص اللوائح والقوانين - فى ترشيح واختيار اعمال لـأساتذة ودكاترة آخرين قد ترقى الى المستوى الذى يتطلبونه ٠٠ . والافانهم يحكمون بخلو الساحة وخوائها .

وهم بالمنع وعدم المنح ، يساهمون ولا جدال فى اعاقه حركة الـترجمة بانصراف الرواد والمجيدىين والشباب عن العمل المـضنى فى محرابها والسباحة الصعبة فى مجالاتها .

ولعلها تكون مناسبة جادة وجيدة لطرح القضية على مستوى وزارة الثقافة باجهزتها المختصة وعلى الرأى العام الثقافى لحل كل هذه المشـكلات وكل تلك الـمتناقضات من أجل ازدهار حركة الـترجمة . قبل أن تتوقف الى الابد .

الندوات الأدبية ٠٠ الحركة والركود !

منذ فترة طويلة والندوات الأدبية ، شأنها شأن الأنشطة الثقافية الأخرى ، تعاني من ركود وهبوط ، قد يوصلانها الى حافة الاختفاء والاندثار ٠٠ ركود يتمثل في قلة عدد الندوات المنعقدة خلال الموسم الثقافي الواحد في كافة الجمعيات والهيئات الثقافية الرسمية والجماهيرية والخاصة ، كما يتمثل في قلة عدد الرواد الذين يرتادون هذه الندوات متحدثين أو مستمعين ٠٠ وهبوط يتمثل في مستوى القضايا المطروحة والمناقشات الدائرة ٠٠ على الرغم من تكاثر هذه الجمعيات وانتشارها ، ويرغم ارتفاع نسبة المثقفين والمهتمين بالثقافة ، ورغم تضاعف القضايا المثارة والملحة التي تحتاج الى حلقات بحث ودراسة وليس فقط الى ندوات ٠٠ مجرد ندوات !

نقول هذا بعد أن تفشت تلك الظاهرة واستشرت ، ونقوله أيضا وبصفة خاصة بعد الندوتين اللتين أعلن عنهما « قصر ثقافة مصر الجديدة » و« دار الأدباء » ، فقد تخلف أغلب المتحدثين والشعراء بدون عذر قاهر أو سبب معقول ، كما خلت القاعتان على سعتهما من الرواد ٠٠

لماذا ؟ !

هذا هو السؤال الكبير والهام الآن !

أما الإجابة فتجيء متضمنة لتحليل الظاهرة ، استنتاجا وملاحظة ودراسة ٠٠ أولها وفي مقدمتها جميعا تجاهل وسائل الاعلام الاذاعية والتليفزيونية والصحفية لكافة الندوات سواء بالتسجيل أو التعليق أو الإشارة ٠٠ ثم انعدام الصلة والتواصل

بين منصة المتحدثين وقاعة المستمعين ، وفقدان الندوات للغة الواحدة المشتركة بين قطبيها ، وأخيرا عدم تفرغ المثقفين من أصحاب الرأي نثرا وشعرا وعدم استعداد المثقفين وتهيؤهم للتزيد بالزاد الثقافى ٠٠ فالكل مشغول بالاحتياجات الأساسية والمتطلبات الرئيسية فى دوامة الحياة ، بحيث لا يبقى فى الانسان أى جهد يبذل للتنقل والتثقف ، فيركن الى الاسترخاء امام التليفزيون أو الاكتفاء بتحمل مشاق الانتقال الى أماكن اللهو ، سواء فى السينما التجارية والمسرح الخاص أو الملامى بالنسبة للقادرين أو النوادى بالنسبة لمتوسطى الدخل أو المقاهى بالنسبة للبطء ٠٠

وكما تضمن تحليل الظاهرة ٠ الاجابة ، فانه يتضمن أيضا الحلول وهى سهلة ويسيرة ومتعددة ٠ وهذا واضح ولكنه لا يحتمل المغالطة ولا يتحمل المراوغة ، والات تحول المرض العارض الى داء مستعص يجلب أمراضا أخرى أشد خطرا وأكثر خطورة ٠٠

وما يقال عن الندوات الأدبية ينطبق كذلك على الندوات الفنية والعلمية والنقابية وما الى ذلك ، اليس كذلك ؟ !

وجهة نظر غربية ٠٠ فى الأدب العربى

على الرغم من ظهور ترجمات كثيرة ولكنها متناثرة ومتباعدة لانتاج عدد من الكتاب العرب ، الا ان عام ١٩٦٤ يعد البداية الحقيقية لاهتمام دور النشر الفرنسية بالأدب العربى المعاصر ٠٠ فقد عنيت « دار سووى » باصدار ثلاثة كتب ضخمة تحت عنوان موحد « مختارات من الأدب العربى المعاصر » قدم لها المستشرق الفرنسى المعروف « جاك بيرك » ٠٠ أولها عن « الرواية والقصة القصيرة » وثانيها عن « الدراسات الأدبية » وآخرها عن « الشعر » ٠٠ ثم أصدر الناشر الفرنسى « جيروم.مارتينو » عام ١٩٧٠ سلسلة باسم « المكتبة العربية » تعنى بترجمة أبرز الأعمال العربية فى مجالات الأدب مثل « زقاق المدق » لنجيب محفوظ و « تحولات الهجرة فى اقاليم الليل والنهار » لأدونيس، وفى العلوم الاجتماعية مثل « البناء مع الشعب » لحسن فتحى وفى العلوم السياسية مثل « مفاتيح الحرب » لبيير روسى .

وقد خلاص « جاك بيرك » فى مقدمته لثلاثية « الأدب العربى المعاصر » الى أن هدف هذه الثلاثية هو « عرض حياة ومشكلات الوطن العربى من وجهة نظر كتابه » حيث « المفصلى هى اللغة المشتركة بين الدول العربية ، والقرآن هو البيان وهو الأسلوب ، والاسلام هو المنهج وهو الدستور » .

ومع هذا فقد حاول أدباء المهجر « جبران ونعيمة وايلىا أبو ماضى » اعادة اكتشاف الطبيعة والحياة ، وحاول الرئدان

المصريان « طه حسين والعقاد » نقل التراث المغربى والافادة منه ، وحاول شعراء الوطنية « شوقى وحافظ ومطران » التعبير عن الذات الأصيلة ٠٠ وساهمت المجلات المتخصصة « المجلة والهلل والكاتب » فى مصر و « الأديب والآداب وشعر » فى لبنان و « الفكر » فى تونس ، فى تعميق الفكرة القومية ٠

ثم يستعرض « بيرك » كفاح الشعب العربى وصراعه ضد الاستعمار من أجل الاستقلال والحرية ، فيذكر أحد أبيات « أبو القاسم الشابى » الشهيرة :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القدر

كنموذج لشعر الحماسة ، تلك الحماسة التى امتدت الى الرواية والقصة القصيرة والمسرح والمقالة والفلسفة أيضا ٠

وتستمر المسيرة العربية فى تقدير « بيرك » برغم الممارك الفكرية الكثيرة التى اثارتها وتثيرها الاجيال الجديدة وأبرزها ذلك الصراع التقليدى بين القديم والحديث وأضعفها ذلك الصراع الشكلى بين مدرستى الفن للفن والفن الملتزم وأهمها ذلك الصراع المصيرى بين القومية والوطنية ٠

انها وجهة نظر غربية فى أدبنا العربى المعاصر ، مطروجة للمناقشة وقابلة للمعارضة والتصحيح ، ولكنها وجهة نظر محايدة فى النهاية ٠٠ فان جاءت غير كاملة أو مكتملة ، فلا شك أن استعراضنا للأراء التى وردت فى الكتب الثلاثة مصحوبة بمختارات أدبية ، يمكن أن يدعم وجهة النظر الغربية هذه فى أدبنا العربى المعاصر ٠